قسم العلوم الإنسانية جامعة محمد العربي بن مهيدي أم البواقي

السنة الأولى ماستر تاريخ مقيـــاس : التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي

المحاضرة العاشرة : المغرب الإسلامي عند ابن خلدون(العصبية)

مقدمة:

"قراءة التاريخ بقوانين الاجتماع"

لم يكن ابن خلدون مجرد مؤرخ يسرد الأخبار، بل كان فيلسوفاً اجتماعياً استنبط "قوانين" تحكم تاريخ المغرب. هو يرى أن تاريخ هذه المنطقة ليس عشوائياً، بل يخضع لـ **"حتمية اجتماعية "**مرتبطة بالبيئة البدوية.

- **الإشكالية المحورية:**

"كيف يفسر ابن خلدون خصوصية المجال المغاربي كبيئة منتجة للعصبية القبلية؟ ولماذا يعتبر أن قيام 'الدولة المركزية' في هذا المجال مستحيل دون دمج 'العصبية' بـ 'الدعوة الدينية'؟"

المحور الأول: الخصوصية الإيكولوجية للمغرب (سيادة "العمران البدوي")

- **المغرب "إقليم بدوي:"**
  - على عكس مصر والعراق (بيئة حضرية نهرية مستقرة)، يرى ابن خلدون أن المغرب تغلب عليه "البداوة."
  - **تحليل النص** *"أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي... وهم أصل للمدن والأمصار."*
  - **الدلالة :**المدن في المغرب (في نظر ابن خلدون) هي مجرد "جزرات معزولة" وسط "بحر من القبائل". هذا يجعل المدينة (السلطة) دائماً تحت رحمة القبيلة (القوة).
- **أثر الهلاليين:**
  - استخدام النص الوارد في وثيقتك" *وأما إفريقية والمغرب... لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم... خربت أمصاره ومحت رسوم الاعتمار فيه."*
  - هذا النص يفسر كيف تعززت "البداوة" في المغرب الوسيط، وكيف تراجعت السلطة المركزية لصالح الفوضى القبلية.

المحور الثاني: سوسيولوجيا القبيلة البربرية ("عصبية الامتناع")

ننتقل من "الأرض" إلى "الإنسان."

- **كثرة العصائب:**
  - يشير ابن خلدون إلى صعوبة حكم البربر بسبب **"كثرة القبائل وتفرع شعوبها** ."في مصر، يكفي السيطرة على العاصمة لتخضع الدولة، أما في المغرب، فكل قبيلة هي "دولة مصغرة."
- **روح الاستقلال (الأنفة):**
  - **تحليل النص"** :*إن إفريقية والمغرب لما كانا للكثير من القبائل والعصائب... استصعبت على الدولة طاعتهم... فكانت لذلك كثيرة الانتقاض والفتن."*
  - **المفهوم المفتاح** :شرح مفهوم**"الامتناع** "القبيلة المغاربية تمتلك "شوكة" تمنعها من دفع الضرائب وتجعلها في ثورة دائمة ضد المركز (بلاد السيبة).

المحور الثالث: "المعادلة الخلدونية": (عصبية + دين = دولة قوية)

كيف تروض هذه القبائل المتمردة؟

- **مشكلة "التكافؤ في القوة:"**
  - بما أن القبائل متكافئة في الشجاعة والعدد، لا تقبل قبيلة أن تحكمها قبيلة أخرى (التنافس والحسد).
- **الحل: "الوازع الديني" (العامل الخارجي المتعالي):**
  - الدين هو العنصر الوحيد القادر على "صهر" العصبيات المتنافرة وتوجيهها نحو هدف واحد.
  - **تحليل النص" :(***وذلك لأنهم (العرب/البدو) أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض... فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية... ذهب خُلق الكبر والمنافسة منهم."*
- **التطبيق التاريخي:**
  - **المرابطون** :قبائل لمتونة (عصبية) + فقه عبد الله بن ياسين (دعوة دينية) = إمبراطورية.

- **الموحدون :**قبائل مصمودة (عصبية) + عقيدة ابن تومرت (دعوة مهدوية) = إمبراطورية.
- *عندما يضعف الدين، تعود العصبية "الجاهلية" وتتفكك الدولة.*

المحور الرابع: الدورة البيولوجية للدولة (نظرية الأجيال)

- **عمر الدولة :**يرى ابن خلدون أن الدولة كالكائن الحي (تولد، تنمو، تهرم، تموت). وحدد عمرها غالباً بـ 120 سنة (3 أجيال).
- **مراحل السقوط:**

1. **جيل البداوة :**شجاعة، تقشف، عصبية قوية (التأسيس).
2. **جيل الملك :**استبداد، بداية الترف، استخدام الموالي (القوة).
3. **جيل الهرم :**انغماس في الترف، ضياع العصبية، الاعتماد على الجند المرتزقة، ثم السقوط أمام عصبية فتية جديدة قادمة من البدو.

- **إسقاط تاريخي :**المرابطون (بدأوا ملثمين في الصحراء ← ملكوا الأندلس وترفها ← سقطوا أمام الموحدين الخشنين).

المعادلة البصرية:

قبائل متنافرة (فوضى)+ دعوة دينية (حقن) ←توحيد الهدف← عصبية كبرى← تأسيس الدولة.

مفهوم "المُلك العَضُوض:"

تتحول "الخلافة" أو "الإمامة" بمرور الوقت إلى "مُلك عضوض" (سلطة قهرية) عندما يختفي الوازع الديني ويبقى وازع السيف.

الخاتمة: قيمة النموذج الخلدوني

- ابن خلدون لم يكتب نظريته من فراغ، بل استقرأها من تاريخ البربر (زناتة وصنهاجة).
- هذه النظرية تفسر لنا لماذا كان تاريخ المغرب الوسيط عبارة عن "دواليب " (Cyclical History)؛ دول تسقط ودول تقوم بنفس الآلية.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر الأولية:

1. عبد الرحمن بن خلدون :*المقدمة* .(يُفضل طبعة دار الفكر أو تحقيق عبد السلام الشدادي لدار الفنون والعلوم والآداب، فهي الأحدث والأكثر دقة).

- *التركيز*: الباب الثاني (في العمران البدوي) والباب الثالث (في الدول والملك والخلافة).

2. عبد الرحمن بن خلدون: *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر....*
   - *التركيز*: الجزء السادس والسابع (تاريخ البربر)، حيث طبق نظريته عملياً على الدولتين المرابطية والموحدية والدول الثلاث التي تلتهما.

ب. الدراسات والمراجع الحديثة:

1. محمد عابد الجابري: *فكر ابن خلدون: العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي.*
   - *أهميته*: يعتبر أهم كتاب حلل مفهوم "العصبية" كآلية سياسية وليس مجرد رابطة دموية.
2. علي الوردي: *منطق ابن خلدون.*
   - *أهميته*: يفكك المنطق الاجتماعي لابن خلدون ويبسطه، ويقارنه بالنظريات الحديثة.
3. عبد السلام الشدادي: *ابن خلدون: الإنسان ومنظرو التاريخ* .(ترجمة لأعماله بالفرنسية والعربية).
   - *أهميته*: يقدم قراءة معاصرة جداً تتجاوز القراءات الكلاسيكية.
4. إيف لاكوست :(Yves Lacoste) *العلامة ابن خلدون* .(ترجمة: ميشال سليمان).
   - *أهميته*: يقرأ ابن خلدون من منظور جيوسياسي واقتصادي (النمط الآسيوي للإنتاج، ودور التجارة والصحراء).
5. ناصيف نصار: *الفكر الواقعي عند ابن خلدون.*

ج. مقالات أكاديمية:

- أبحاث عبد الله العروي حول "ابن خلدون والتأخر التاريخي" في كتابه *مفهوم التاريخ.*